دور معاوية بن أبي سفيان في أحداث الفتنة

زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه

د.حمدي شاهين

مقدمة: مجمل تاريخ معاوية حتى بداية الفتنة:

أسلم معاوية عقب فتح مكة فيما يذهب إليه جمهور المؤرخين[١]، وعمل كاتبًا للوحي منذ إسلامه بين يدي رسول الله ﷺ [٢]، مما أتاح له لونًا من القرب الطبيعي من النبي ﷺ، حتى روى عنه مائة وثلاثة وستين حديثًا[٣]، ويذكرون أن رسول الله ﷺ قد بعثه مع وائل بن حجر الحضرمي إلى قومه ليعلمهم الإسلام[٤].

وفي خلافة أبي بكر رضي الله عنه أرسل معاوية أميرًا على طائفة من جند المسلمين مددًا لجيش أخيه يزيد بن أبي سفيان[٥]، فأسهم في فتوح المسلمين هناك، وكانت له جهود بارزة في فتح الساحل الشامي[٦]، كما شهد صلح عمر رضي الله عنه وأهل بيت المقدس عند فتحها سنة ١٥هـ[٧]، ولما مات أخوه يزيد في طاعون عَمَواس

---

[١] روى بعض المؤرخين أنه أسلم قبل الفتح، وكان يخفي إسلامه كشأن بعض الناس آنذاك، إما مراعاة لمكانة أبيه كزعيم للمشركين في حربهم ضد الإسلام، أو لخشيته منه، فرووا أنه أسلم في عام الحديبية سنة ٦هـ، أو في عمرة القضاء سنة ٧هـ (راجع: مصعب الزبيري: نسب قريش ص١٢٤، ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر ص١٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية ٢١/٨)

[٢] مسلم: الصحيح ١٩٤٥/٤، الحديث رقم ٢٥٠١

[٣] السيوطي: تاريخ الخلفاء ص١٩٤

[٤] ابن عبد البر: الاستيعاب ١٥٦٢/٤-١٥٦٣، ترجمة وائل بن حجر رقم ٢٧٣٦

[٥] راجع الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٩٠/٣

[٦] البلاذري: فتوح البلدان ص١٢٤، ١٤٦-١٤٧

[٧] الطبري: السابق ٦٠٩/٣

سنة ١٨هـ أمَّره عمر بن الخطاب على جند دمشق وخراجها، ثم ضمّ إليه الأردن[١] ثم حمص وقنسرين [٢]، وفي خلافة عثمان رضي الله عنه ضم إليه فلسطين فجمعت له بذلك الشام كلها[٣].. ولما ظهرت بوادر الثورة على عثمان منذ النصف الثاني من خلافته اختلفت رؤى المؤرخين تجاه موقف معاوية من هذه الثورة، وروى بعضهم أنه حاول نجدة الخليفة ما استطاع، في حين يرى آخرون أنه تربص به ليحقق مآربه الخاصة في نيل الخلافة من بعده[٤].والأمر إزاء ذلك التباين في رؤى المؤرخين والكتّاب يحتاج إلى دراسة وبحث، بغية الوصول إلى معرفة تقريبية لحقيقة ما حدث في تلك الفترة المفعمة بالاضطرابات في أحداثها ومروياتها على السواء.

وسوف يأتي ذلك البحث في مبحثين؛ يتناول أولهما دور معاوية في مواجهة بدايات الثورة ضد عثمان، ويتناول الثاني موقف معاوية من نصرته آنذاك.

---

[١] السابق ٤/٦٤-٦٥

[٢] ابن كثير: السابق ٨/١٢٢

[٣] الطبري: السابق ٤/٢٨٩-٢٩٠

[٤] راجع: الطبري: السابق ٥/٢٤٣، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٣/١٦١-١٦٢، ابن قتيبة (ينسب إليه): الإمامة والسياسة ١/٩٨، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٠٠، العقاد: عبقرية علي ص٨١، طه حسين: الفتنة الكبرى ٢/٣٤، أحمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي ص٢١، علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/٢٢٩، محمد كرد علي: خطط الشام ١/١٣٦-١٣٧، محمد عبد الله عنان: تاريخ الجمعيات السرية ص١٦، راضي آل ياسين: صلح الحسن ١٥٦-١٥٧، عمر أبو النصر: الحسين بن علي ٢٥-٢٦، فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص١٢٩، دوزي: تاريخ مسلمي إسبانيا ١/٤٥

المبحث الأول

دور معاوية في مواجهة بدايات الثورة على عثمان

استعان الخليفة عثمان رضي الله عنه بمعاوية في مواجهة بدايات التمرد والثورة في العراق، فسيّر إليه زعماء الفتنة بها ليحاول إصلاحهم، وبذل معاوية جهوده في ذلك الصدد، وهي جهود تختلف بشأنها روايات التاريخ، كما استدعاه لحضور مجلس الشورى سنة ٣٤هـ لبحث أسباب الفتنة في العراق ومصر، ولما انقضى ذلك المجلس عاد مع خليفته إلى المدينة، وهناك قابل زعماءها وأوصاهم بالخليفة خيرًا؛ بعدما فشل في إقناعه بالرحيل معه إلى الشام، أو قبول حماية جيش من الشام له بالمدينة.

أولا: تسيير زعماء التمرد بالكوفة إلى معاوية:

استفحلت مشاعر الحسد عند بعض رجال القبائل الكوفيين لقريش لما نالته من حظوظ السيادة على المسلمين، ووفرة الثروة، التي آلت إليها نتيجة نظام قسمة الغنائم منذ زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أساس القرابة من النبي ﷺ والسبق إلى الإسلام[1]، وكانت هذه المشاعر وراء بوادر التمرد التي ظهرت في ولاية سعيد بن العاص على الكوفة (٣٠-٣٤هـ)، وقد عبرت عن نفسها في مجلس سعيد نفسه في بعض المرات، فثار الشغب عند الأمير بين بعض الناقمين على قريش ومن يخالفهم الرأي سنة ٣٣هـ، وكاد ذلك يؤدي إلى حدوث اقتتال بين القبائل المؤيدة لكلا الفريقين؛ لولا أن نجح سعيد بن العاص في تهدئة الأوضاع، والحيلولة دون تفاقم

---

[1] أحس عمر رضي الله عنه – بإلهامه – بالمخاطر المتوقعة لذلك النظام فكان يقول: "والله لئن بقيت إلى العام المقبل لألحقن آخر الناس بأولهم، ولأجعلنهم رجلاً واحدًا"، لكنه لم يعش لينفذ خطته تلك (راجع ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٣٢/٣)

الخطر، وأقسم سعيد ألا يجالسه مثل هؤلاء السفهاء المسارعين إلى الشر، فقعدوا في بيوتهم، وأقبلوا على إذاعة السوء عن أميرهم وخليفتهم؛ حتى لام أشراف الكوفة سعيدًا في تركه إياهم، فأخبرهم أن الخليفة نهاه أن يحرك شيئًا من هذه الفتنة، وأباح لهم أن يكتبوا إلى الخليفة بما يرونه، فكتبوا إليه في إخراجهم من مصرهم، فرد عليهم: "إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية"، فخرجوا إلى الشام صاغرين، وكتب عثمان إلى معاوية: "إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نَفرًا خلقوا للفتنة، فرُعْهم، وقم عليهم، فإن آنست منهم رشدًا فاقبل منهم، وإن أعْيَوْك فارددهم عليهم"، وكانوا بضعة عشر رجلاً، فيهم الأشتر النخعي وثابت بن قيس وكميل بن زياد وصعصعة بن صوحان وغيرهم من الذين ذاع ذكرهم في أحداث الثورة على عثمان فيما بعد.

وقد رحب بهم معاوية، وأجرى عليهم – بأمر الخليفة – ما كان يجري عليهم بالعراق من الأرزاق، وكان لا يزال يجالسهم ويؤاكلهم، واجتهد في إصلاحهم، فقال: "إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفًا، وغلبتم الأمم، وحويتم مراتبهم ومواريثهم"، وذكرهم بفضل قريش، وقد استبان له السبب الحقيقي للتمرد والثورة في نفوسهم، ألا وهو حقدهم عليها، فقال: "وقد بلغني أنكم نقمتم قريشًا، وإن قريشًا لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم"، وحذرهم من خطورة انتقاص الأئمة والخلفاء، فقال: "إن أئمتكم لكم إلى اليوم جُنَّة، فلا تشذوا على جنتكم، وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور، ويحتملون عنكم المؤونة".. كما حذرهم مغبة تمردهم، وما قد يجره على الأمة من خطر، فقال: "والله لتنتهنّ أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم، ثم لا يحمدكم على الصبر، ثم تكونون شركاء لهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم".

لقد ركزت ردود زعماء الفتنة على ما يشغل بالهم من امتيازات قريش، وطموحهم لإنهاء سيطرتها ليرثوا مكانتها، فقال خطيبهم صعصعة بن صوحان: "أما

ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب، ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجُنَّة فإن الجنة إذا اختُرقت خُلص إلينا"! ورد معاوية على ذلك المنطق بقوة، فمضى يذكر حفظ الله قريشًا في الجاهلية، ثم فضله عليهم بالإسلام، وبعثة النبي ﷺ بينهم، ثم جعل الله الخلافة فيهم، "فكان الله يحوطهم في الجاهلية؛ وهم على كفرهم بالله، أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه؟" وقد عنف بهم معاوية في حديثه، ووصفهم بالشر واللؤم والمسارعة إلى البغي، وخوّفهم من خطر مسعاهم، وقال: "ولا تدركون بالشر أمرًا أبدًا إلا فتح الله عليكم شرًا منه وأخزى".

ولم يترك معاوية أمر الدفاع عن نفسه في مقابل ما أحسه من انتقاصهم له، وما أشاعوه عن عمال عثمان من سوء، فذكر أن النبي ﷺ كان معصومًا فاستعمله، ثم ولاه أبو بكر وعمر وعثمان وقال: "فلم آلِ لأحد منهم؛ ولم يولني إلا وهو راضٍ عني، وإنما طلب رسول الله ﷺ للأعمال أهل الجزاء عن المسلمين والغَناء".

وعاد معاوية إلى تذكيرهم بالله، وتحذيرهم مكره بهم، وحضهم على الإخلاص فقال: "إن الله ذو سطوات ونقمات، يمكر بمن مكر به، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون، فإن الله غير تاركك حتى يختبركم، ويبدي للناس سرائركم".

لقد أثمرت سياسة معاوية معهم – التي جمعت بين اللين والشدة – ثمرتها، "فتقاصرت إليهم أنفسهم"، ثم سمح لهم بالمضي إلى حيث شاءوا [1].

وفي رواية أخرى لسيف بن عمر أن معاوية بعدما حاورهم، وبيّن لهم خطأهم، رآهم يشهدون الصلاة معه في المسجد، ويقفون مع قاصّ الجماعة – أي واعظهم – فدخل عليهم يومًا وبعضهم يقرئ بعضًا، فقال: إن في هذا لخلفًا مما قدمتم به عليّ من النزاع إلى أمر الجاهلية، اذهبوا حيث شئتم"، وأوصاهم بلزوم الجماعة ففيها

---

[1] راجع: سيف بن عمر: الفتنة ووقعة الجمل ص٣٦-٤٠

سعادتهم، "فجزوه خيرًا، وأثنوا عليه"، فخرج القوم من دمشق وقالوا: لا ترجعوا إلى الكوفة؛ فإنهم يشمتون بكم، وميلوا بنا إلى الجزيرة، ودعوا العراق والشام، فأووا إلى الجزيرة، فسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أمير حمص، وهم في طريقهم إليها، فدعا بهم، وعنّفهم، وقسا عليهم، حتى أظهروا التوبة، فسرح زعيمهم الأشتر النخعي إلى عثمان بتوبتهم، فقبل ذلك منهم، وخيّرهم أن يحلّوا حيث شاءوا، فاختاروا حمص بجوار أميرها ابن خالد بن الوليد[1].

وتؤكد الروايتان على أن هؤلاء النفر قد جادلوا معاوية في غِلظة وحدة، وأنه رد حجتهم، وكشف خبيئات نفوسهم، واشتد عليهم حتى "تقاصرت نفوسهم"، وأظهروا الطاعة ولزوم الجماعة، وجزّوه خيرًا، وأثنوا عليه..

وهذا يخالف ما روي عن الشعبي من أنهم استطالوا على معاوية حتى طالبوه باعتزال عمله، "وقالوا: إن في المسلمين من هو أحق به منك، من كان أبوه أحسن قدمًا في الإسلام من أبيك، وهو أحسن في الإسلام قدمًا منك، فقال معاوية: "والله إن لي في الإسلام قدمًا، ولغيري كان أحسن قدمًا مني، ولكنه ليس في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه مني"، واحتج عليهم برضا عمر بن الخطاب عنه، ولم يكن عمر تأخذه في الحق هوادة، ثم رضا عثمان عنه بعد ذلك، ومضى معاوية يخوفهم طاعة الشيطان وعقاب الله تعالى، فوثبوا عليه، وأخذوا برأسه ولحيته، فقال: "مَهْ، هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم، فلعمري إن صنيعكم ليشبه بعضه بعضًا"، وكتب إلى عثمان يشير عليه أن يردهم إلى الكوفة، فردهم، فأطلقوا ألسنتهم بالشر كما كانوا، فضج سعيد بن العاص عامل الكوفة منهم إلى عثمان، فأمره الخليفة أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن

---

[1] السابق ص٤٠-٤١

الوليد أمير حمص، الذي عنف بهم حتى أظهروا الصلاح فسيّر زعيمهم الأشتر إلى الخليفة فرضي عنهم، وآثروا البقاء عند عبد الرحمن بحمص[1].

وقد نتفهم هذا النوع من الجدال بين زعماء التمرد ومعاوية في هذه الرواية، ونتصور أن بعضهم تعتريه السفاهة والحدة، ويغريه حلم معاوية إلى حد الاجتراء عليه، والأخذ بلحيته ورأسه، لكن الرواية تضيف ما يثبت عجز معاوية أمامهم، واستخفافه بأمرهم، حتى عادوا إلى الكوفة ليزيدوا نيران الفتنة بها اشتعالا، فيسيّرهم الخليفة إلى عبد الرحمن بن خالد، الذي ينجح فيما فشل فيه معاوية..

وهذا ما يبدو أمرًا مستبعدًا، فقد كان هؤلاء النفر منفيين من وطنهم، ومستقر قبائلهم وعصبيتهم، ودار عزهم، مطاردين من أشرافهم ووالـيهم وخليفتهم، فبعيد أن يستمروا في إظهار تمردهم وعدائهم، وبخاصة أنهم يدركون أن نجاح خططهم يستوجب عودتهم إلى الكوفة موئل أنصارهم، أما بقاؤهم في الشام تحت أعين معاوية ورقابته اليقظة فسيضيع عليهم كل شيء، فإن لم يمكنهم الرجوع إلى الكوفة في وقتهم الحاضر – بعدما أذلتهم شدة معاوية – فلا أقل من خروجهم من تحت سلطانه، أو لجوئهم إلى مكان آخر قريب من الكوفة، يعالجون فيه انكسارهم النفسي، ويتخلصون من شماتة خصومهم من أشراف أهل الكوفة بهم بعد قليل من الزمن، ويواصلون منه خططهم ضد الخلافة القرشية وعمالها.. لذلك فإنهم اختاروا الجزيرة العراقية – حسبما تقرر رواية سيف بن عمر – لكن حظهم العاثر أسقطهم في قبضة ابن خالد بن الوليد الذي كان قد سمع أخبار تمردهم بالكوفة وعند معاوية، فبطش بهم، فأظهروا مزيدًا من الانكسار والاستكانة والتوبة، فقبل الخليفة ذلك منهم، وآثروا البقاء في حمص إلى حين..

---

[1] الطبري: السابق ٤/٣٢٣-٣٢٦، ابن الأثير: الكامل ٣/٣٤-٣٦

إن صاحب هذه الرواية ربما اختلط عليه الأمر، فلم يتصور إمكان الجمع بين نجاح معاوية في تهذيبهم وقمع نفوسهم ثم لجوء عبد الرحمن بن خالد بعد ذلك إلى البطش بهم، والشدة عليهم، فظن أن الثاني كان يحاول النجاح فيما أخفق فيه الأول.

على أننا لا نظن أن حال أولئك المفتونين قد انصلح حقيقة أمام معاوية أو عبد الرحمن، لقد أظهروا فقط الانصياع والطاعة، ولكن ظلت نفوسهم تمور بفتنتها وأحقادها.. وقد أثبتت الوقائع فيما بعد صدق ذلك، حيث كانوا هم زعماء الثورة في الكوفة التي انتهت بخلع واليها سعيد بن العاص[1]، وكانوا قادة الثورة على عثمان بالمدينة التي انتهت باستشهاده على نحو مروع.. بل يمكن أن نقول إن معاوية نفسه لم ينخدع بهذه المظاهر الكاذبة من الطاعة والاستكانة التي أبداها هؤلاء بعدما عنف بهم في دمشق، ورسالته إلى الخليفة تنبئ بذلك، فهو لا يشير فيها إلى إصلاح نفوسهم، بل يعمد إلى وصف حالهم، وتقييم قدراتهم، فيقول في هذه الرسالة – كما يروي سيف بن عمر –: "إنه قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أثقلهم الإسلام، وأضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة، إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة، والله مبتليهم ومختبرهم، ثم فاضحهم ومخزيهم، وليسوا بالذين ينكون أحدًا إلا مع غيرهم، فإنْهَ سعيدًا (يعني ابن العاص) ومن قبله عنهم، فإنهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير"[2]..

وربما يثور التساؤل: ألم يكن من الأجدر بمعاوية أن يبقي على هؤلاء النفر عنده في الشام، تحت سطوته، ليضمن إبعادهم عن الكوفة مرتع فتنتهم، بدل أن يريح نفسه بإرجاعهم إلى بلدهم فيثيروا الفتنة من جديد؟ والحق أن معاوية لم يكن يستهين

---

[1] سيف بن عمر: السابق ٤٥-٤٦، الذهبي: تاريخ الإسلام ٢/١٧٠-١٧١.

[2] سيف بن عمر: السابق ٣٩-٤٠

بهم، لكنه لا يرى المبالغة في أمرهم، إذ إن خطرهم لا يأتي من عمق تفكيرهم، أو قوة حجتهم، بل من إمكان تعاطف عصبياتهم القبلية معهم، أو اجتماع أخلاط الناس من ذوي الأطماع إليهم، ولذا لا تصح استثارة العواطف من حولهم، باستمرار نفيهم، أو الضغط عليهم، وإتاحة الفرصة لوصف الخليفة بالقسوة معهم وظلمهم، مما يغذي الإحساس بتسلط قريش وقهرها، لذلك قال:" إنهم ليسوا بالذين ينكون أحدًا إلا مع غيرهم، فإنْهَ سعيدًا ومن قبله عنهم، فإنهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير".. وعلى كل حال لم يكن من الصواب إطالة بقاء هؤلاء المفتونين بالشام، فذلك لم يكن مراد الخليفة لما أمر بتسييرهم إلى معاوية، فقد كان تكليفه لمعاوية أن "رُعْهم، وقم عليهم، فإن آنست منهم رشدًا فاقبل منهم وإن أعيوك فارددهم عليهم"..

ثانيًا: موقف معاوية من تسيير عامر بن عبد القيس إليه:

تشير رواية سيف بن عمر إلى أن أحد من شاركوا في الثورة على عثمان – واسمه حمران بن أبان – كان قد تزوج امرأة في عدتها، ففرق بينهما عثمان وسيّره من المدينة إلى البصرة، فلزم واليها عبد الله بن عامر، ثم سعى عنده بأحد زهاد أهل البصرة المعروفين وهو عامر بن عبد القيس، يتهمه وينتقصه، ثم استبان لعبد الله بن عامر كذبه في دعواه، وبعد حين سمع الخليفة عثمان عن حمران بن أبان ما يحب، ويبدو أن الرجل كان كشأن بعض زعماء هذه الفتنة ممن يجيدون التصنع والمخادعة، فأذن له في العودة إلى المدينة، وقدم معه جماعة من أهل البصرة؛ فسعوا بعامر بن عبد القيس، وزعموا أنه لا يرى التزويج، ولا يأكل اللحم، ولا يشهد الجمعة، وكان عند عامر هذا انقباض عن الناس، وكان في زهده وعزوفه عنهم يجعل عمله كله خفية، لقد انزعج الخليفة لهذه الدعوى التي أجمع على صدقها حمران ومن قدموا معه من أهل البصرة، فأرسل إلى أميره عبد الله بن عامر أن يلحق عامر بن عبد القيس بمعاوية.. وكان الأجدر بابن عامر والخليفة أن يتحققا من هذه السعاية قبل أن يقضيا

بتغريب الرجل، ولكنه حسن الظن بمن ادعى التوبة وصدّقه من معه.. فحكما بظاهر الشهادة، واحتاطا لنفسيهما في ذلك الوقت العصيب..

ولما دخل عامر بن عبد القيس على معاوية وافقه يأكل الثريد، "فأكل معه أكلا غريبًا[1]، فعرف أن الرجل مكذوب عليه، فقال: يا هذا، هل تدري فيم أخرجت؟ قال: لا، قال: أبلغ الخليفة أنك لا تأكل اللحم – ورأيتك، وعرفت أن قد كذب عليك – وأنك لا ترى التزويج، ولا تشهد الجمعة، قال: أما الجمعة فإني أشهدها في مؤخر المسجد، ثم أرجع في أوائل الناس، وأما التزويج فإني خرجت وأنا يُخْطَب عليّ، وأما اللحم فقد رأيت (يعني: رأيتني آكله معك)، ولكني كنت امرأ لا آكل ذبائح القصابين منذ رأيت قصابًا يجر شاة إلى مذبحها، ثم وضع السكين على مذبحها، فما زال يقول: النِّفاق، النفاق، حتى وجبت[2]، فقال معاوية: فارجع إلى بلدِك، قال: "لا أرجع إلى بلد استحلّ أهله مني ما استحلوا، ولكني أقيم بهذا البلد الذي اختاره الله لي".. وظل مقيمًا بسواحل الشام للمرابطة والعبادة، وكان يلقى معاوية فيكثر معاوية سؤاله: ألك حاجة؟ فيقول: لا، فلما أكثر عليه السؤال قال: ردّ عليّ من حرّ البصرة لعل الصوم أن يشتد عليّ شيئًا، فإنه يخف عليّ في بلادكم"[3].

إن فارقًا كبيرًا يبرز بين معاملة معاوية عامر بن عبد القيس ومعاملة أولئك المتمردين من أصحاب الأشتر النخعي وصعصعة بن صوحان، وهو الفارق بين ما يجب أن يلقاه الرجل السويّ حين تنهشه الوشايات المكذوبة، وسرعان ما تستبين براءته، فيجد الاعتذار والمسامحة، ويلقى الإكرام والمناصرة، وبين من التوت طبائعهم،

---

[1] يعني أكل رجل جائع نَهِم وجد الطعام أمامه

[2] يعني أن منظر الذبح، ونداء الجزار بقول النفاق، يتعجل خلاص ذبيحته، هو ما نفّره من أكل لحوم الجزارين..

[3] سيف بن عمر: السابق ٤٢-٤٤

ومردوا على الكذب والمخاتلة؛ إن وجدوا القوة الباطشة ذلوا وخضعوا، وإن غابت عنهم أفاقوا وانتعشوا، فاستشرى خطرهم، وأثمر كيدهم.. وقد قام معاوية في الحالتين بما طالبته به الخلافة، وقابل كل فريق بما يستحق، وكان موئل ثقة الخليفة الذي يلجأ إليه فيما حزبه من أمور، وأثقل كاهله من ملمات.

أما حمران بن أبان ذلك الذي ألّب على عامر بن عبد القيس فتهمل الرواية التاريخية ذكر ما أصابه بعدما اتضح كذبه وافتراؤه؛ إن كان قد أصابه شيء، وأغلب الظن أن تسارع الأحداث بعد ذلك شغل الخليفة عن الانتباه إلى عقابه..

ثالثًا: دور معاوية في مجلس الشورى سنة ٣٤هـ:

لما كثر الانتقاد بالأمصار لسياسة عثمان رضي الله عنه كتب إلى أهلها سنة ٣٤هـ يذكرهم بمنهجه في إرساء العدل فيهم، ومحاسبة عماله كل موسم حين يقدمون عليه للحج، ثم قال: "وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقوامًا يُشتمون، وآخرين يضربون، فيا من ضُرب سرًا وشتم سرًا؛ من ادعى شيئًا من ذلك فليوافِ الموسم، فليأخذ حقه حيث كان؛ مني أو من عمالي، أو تصدَّقوا فإن الله يجزي المتصدقين"، فلما قرئ الكتاب في الأمصار أبكى الناس، ودعوا لعثمان وقالوا: "إن الأمة لتمخّض بالشر"، وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه في موسم الحج: عبد الله بن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص[1] وعمرو ابن العاص، فسألهم عن أسباب هذه الشكايات، وقال: أشيروا عليّ، فقال سعيد بن العاص: هذا

---

[1] يفهم من نص الرواية أن سعيد بن العاص لم يكن آنذاك واليًا، وأن الخليفة أدخله في الشورى هو وعمرو بن العاص ليفيد من رأيهما وخبرتهما، وهذا غير صحيح، فقد كان سعيد واليًا على الكوفة آنذاك، ولم ينزع عنها إلا بعدما شارك في ذلك المجلس ثم اتجه إلى الكوفة، فلما أصبح على مشارفها منعه المتمردون بها من دخولها، وفي الرواية إشارة إلى كونه ما يزال واليًا حين انعقاد المجلس كما يفهم من رد معاوية: "والرجلان أعلم بناحيتهما"

أمر مصنوع؛ يصنع في السر، فيلقي به غير ذي المعرفة، فيُخبر به، فيتحدث به في مجالسهم، فسأله: فما دواء ذلك، قال: طلب هؤلاء القوم، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم، وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم، فإنه خير من أن تدعهم.

وقال معاوية: قد وليتني فوليت قومًا لا يأتيك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتهما: قال: فما الرأي؟ قال: حسن الأدب، قال: فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد لنت لهم، وتراخيت عنهم، وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك، فتشتد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين.. ثم قام عثمان فخطبهم وكان مما قال: ".. إن هذا الأمر الذي يُخاف على هذه الأمة كائن، وإن بابه الذي يُغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة، إلا في حدود الله تعالى ذكره.. كفكفوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم، واغتفروا لهم، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها"[1].

وفي روايات أخرى ساقها الطبري وابن الأثير أشار الأمراء بقريب مما مضى بيانه، إلا ما ينسب إلى عمرو بن العاص من هجوم على عثمان واتهامه بمحاباة بني أمية، والزيغ عن الحق، ثم إنه اعتذر في نهاية الاجتماع لعثمان، وادعى أن ما قاله إنما كان لعلمه أن بالباب من يبلغ الناس قول كل منهم، فأراد أن يبلغهم قوله لعله يقود إلى الخليفة خيرًا، أو يدفع عنه شرًا، أما معاوية فقد قال فيما تذهب إليه هذه الرواية: أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله، وأكفيك أنا الشام.. وكان قرار عثمان الذي انتهى إليه أن أمر عماله أن يجمِّروا الناس في البعوث[2]، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه[1].

---

[1] سيف بن عمر: السابق ٥٠-٥٢، الطبري: السابق ٣٤٢/٤-٣٤٣

[2] المقصود بتجمير المقاتلين في البعوث: إبقاؤهم على الثغور في مقابل العدو فترات طويلة لا يعودون فيها إلى أهليهم

إن الرواية الأخيرة جديرة بالشك، وبخاصة في القرارات الخطيرة التي تنسب إلى عثمان في نهاية ذلك الاجتماع، من تجمير الناس في البعوث وتحريم أعطياتهم، وهي قرارات لا أثر لها في الواقع، ولو حدثت بالفعل لأثارت معارضة جمّة، وردود أفعال ذات شأن، غير أن السبئية وزعماء الثورة قد تعمدوا – فيما يبدو – ترويج ذلك ليحققوا مآربهم في إثارة الناس على الخليفة[٢].. كما لا يبدو تبرير الرواية أقوال عمرو بن العاص مقبولاً أو منطقيًا، ولا يتفق مع مكانته الرفيعة عند عثمان التي أهلته لحضور هذا الاجتماع الذي ضم أمراء الأمصار، مع أنه لم يكن وقتها أميرًا..

أما ما ينسب إلى معاوية في كلتا الروايتين فيدل على حذر واحتراز، وتحرُّج من الحديث عن التمرد الذي تعانيه الأمصار الأخرى – البصرة والكوفة ومصر – بينما هو بعيد عنها، يتسمّع بما يجري فيها من أحداث، ولا يراها رأي العين، ولا يعايشها معايشة تورث عنده اليقين بأسباب الفتن والتمرد فيها، وبخاصة مع وجود أمرائها في ذلك المجلس، وهم أهل ثقة وكفاية، قادرون على فهم مشكلاتهم، والتعبير عنها، واقتراح الحلول لها، مع تأكيده على أهمية قيام كل أمير بمقتضى مسئوليته، ولذلك فقد قال للخليفة: "قد وليتني فوليت قومًا لا يأتيك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتهما"، وقال في الرواية الثانية: "أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله، وأكفيك أنا الشام".

---

[١]الطبري: السابق ٤/٣٣٤–٣٣٥، ابن الأثير: الكامل ٣/٤١–٤٢

[٢]وقد نجح الأشتر النخعي في ذلك حين تحرك سريعًا إلى الكوفة بعد استدعاء رفاقه بها إياه، ثم لحق به بقية أصحابه من حمص حيث كانوا بجوار واليها عبد الرحمن بن خالد كما مر بنا، واستطاع الأشتر إثارة الناس بالمسجد الجامع يوم الجمعة، لما ادعى مثل هذه الأكاذيب على عثمان، حتى خرجت طائفة منهم معه فمنعوا سعيد بن العاص واليهم الذي حضر مجلس الشورى المشار إليه من الرجوع إلى الكوفة (سيف بن عمر: السابق ٤٥)

مزاعم كعب الأحبار هل أثارت أطماع معاوية:

وتزعم رواية سيف بن عمر – بإسناد فيه رجل مجهول من بني أسد – أن الأمراء لما انتهى مجلسهم في موسم الحج سنة ٣٤هـ صحب معاوية الخليفة في طريقه إلى المدينة فحدا به الراجز:

إن الأمير بعده عليّ وفي الزبير خلف رضي

فقال كعب الأحبار[١] – وكان يسير خلفهما – كذبت، صاحب الشهباء "يقصد بغلة معاوية" بعده، فأُخبر بذلك معاوية، فسأل عنها كعبًا فقال: نعم، أنت الأمير بعده، ولكنها والله لا تصل إليك حتى تكذب بحديثي هذا، فوقعت في نفس معاوية[٢]..

وهذه الرواية معتلة الإسناد، حيث أحد رواتها مجهول، ركيكة المتن، حيث لا يعقل أن يرتجز حادي الخليفة بأسماء المرشحين بعده للخلافة وهو حيّ يعاني التمرد والانتقاض، وهي واحدة من روايات عديدة تنسب إلى كعب الأحبار، وتدعي علمه بما سيحدث من وقائع، ما زالت في رحم الغيب المجهول، وذلك بما عرفه من التوراة وكتب بني إسرائيل، وهي روايات إسرائيلية تقصد تمجيد أحبار اليهود السابقين وعلومهم، وصدق توراتهم، والأولى بنا أن نحذر من ذلك الدخيل إلى ثقافتنا وتاريخنا،

---

[١]أسلم كعب الأحبار أواخر خلافة أبي بكر أو – على الأرجح – في خلافة عمر واسمه كعب بن ماتع الحميري اليمني، وقد استقر فيما بعد بالشام، وتوفى بها سنة ٣٢هـ على الأغلب، عن مائة سنة وأربع سنوات، وهناك اختلاف شديد حوله، هل كان صادق الإيمان أم مدعيًا يعبث بالإسلام، ويدخل فيه الإسرائيليات المتنوعة في التفسير والحديث والتاريخ، والأرجح أنه ظل متأثرًا بعد إسلامه بموروثه الثقافي اليهودي، واستغل اسمه – فيما بعد – كعالم باليهودية في تمرير كثير من المرويات المكذوبة إلى الفكر الإسلامي (راجع: ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٥٣/٥٠ وما بعدها، ابن حجر: الإصابة ٦٤٧/٥ وما بعدها، أبو نعيم: حلية الأولياء ٣٦٤/٥)

[٢]سيف بن عمر: السابق ٥٢، الطبري: السابق ٣٤٣/٤، المالقي: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ١٠١-١٠٢

وبخاصة – كما هو في حالتنا هذه – إذا كان ظاهر الكذب والانتحال، ولا يخفى الغرض من هذه الرواية وأمثالها، إذ إنها تقصد إلى الزعم بأن معاوية كان يخطط للوصول إلى الخلافة منذ أمد بعيد، وأن منطلقاته التي أعلنها فيما بعد – من القصاص لعثمان – لم تكن إلا ستارًا يخفي وراءه أطماعًا دفينة، ومطامح هائلة..

رابعًا: معاوية يعرض على الخليفة الحماية:

وقد قال معاوية للخليفة آنذاك قبل أن يودعه بالمدينة ليواصل سيره إلى ولايته: "يا أمير المؤمنين انطلق معي إلى الشام، قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به، فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا فقال: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء، وإن كان فيه قطع خيط عنقي، قال: فأبعث إليك جندًا منهم يقيم بين ظهراني أهل المدينة لنائبة إن نابت المدينة أو إياك، قال: أنا أقتِّر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجند يساكنهم؟ وأضِّيق على أهل دار الهجرة والنصرة؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لتغتالنّ أو لتغربنّ، قال: حسبي الله ونعم الوكيل"[1].

وتدل هذه الرواية على عمق الرؤية المستقبلية لمعاوية، وقدرته على تحليل الواقع، وتوقع مسار الأحداث، لقد بات يدرك أن خطرًا مؤكدًا يزحف نحو الخليفة، وهو خطر لا ينبع من داخل المدينة، بل من هذه الأمصار التي تمور بالفتنة والكيد، فعرض عليه أن يسير معه إلى الشام قبل أن يهيج عليه "من لا قبل له به"، فإن الشام موطن الطاعة، لكنه أبى أن يترك المدينة بما تمثله من رصيد ديني ونفسي، ولم تطق نفسه أن تبيع جوار رسول الله ﷺ حتى لو كان المقابل هو حياته ذاتها، فعندئذ عرض عليه معاوية أن يبعث إليه بقوة من جند الشام لحمايته وحماية المدينة التي غدت هي

---

[1] سيف بن عمر: السابق ٥٣، المالقي: السابق ١٠٢/١-١٠٣، ابن الأثير: الكامل ٥٠/٣، الذهبي: تاريخ الإسلام ١٧٠/٢

الأخرى مهددة لوجود الخليفة بها، وفي ذلك إدراك من معاوية بتقلص أهمية المدينة المنورة كعاصمة سياسية، بعدما شهدته من تفريغ سكاني، إذ هجرها كثير من أهلها، واتجهوا إلى مواطن في الثغور والأمصار القريبة، حيث تتاح الفرص الكبيرة لمزيد من الأجر الأخروي والرزق المادي، فغدت المدينة بالمقارنة مع الأمصار الكبيرة الأخرى "البصرة والكوفة والفسطاط ودمشق" أقل ثراء وسكانًا[1]، لكن الخليفة الراشد أبى أن يضيق على أهل المدينة بجند يساكنهم فيها، فلما رفض مقترحات معاوية أدرك معاوية أنه مقتول لا محالة إذا استمرت الأمور على ذلك النحو، أو أنه مغزو في مدينته بما يستتبعه الغزو من تبعات.

إن هذه الرواية تصور منطلقات عثمان في ذلك الوقت العصيب على أنها منطلقات عاطفية نفسية، لا تستصحب الواقع كما فهمه أميره معاوية، ولكن لعل في الأمر حكمة لم تصرح بها الرواية جعلت الخليفة يرفض الرحيل إلى الشام، أو حماية جند منها، إذ إنه سيبدو وقتها عاجزًا عن حماية نفسه برضا جموع رعيته، محتاجًا في ذلك إلى عصبيته الأموية، وستبدو هذه الحماية مفروضة على أهل المدينة من خارجها، وسيظهرون معها كأنهم كارهين خليفتهم، مقهورين على القبول به، بل إن الخلافة الراشدة القائمة على مبدأ الشورى ورضا الرعية ستصطبغ وقتها بصبغة قبلية أموية، وليست إسلامية عامة..

خامسًا: معاوية ينصح زعماء الصحابة بمناصرة الخليفة:

وروى سيف بسنده عن رجاء بن حيوة – من علماء التابعين – وغيره أن معاوية لما ودع الخليفة متجهًا إلى الشام لقي نفرًا من المهاجرين فيهم طلحة والزبير

---

[1] لقد أدرك علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذلك لما استخلف، ونقل عاصمة خلافته من المدينة إلى الكوفة، وقال لمن عارضه في ذلك من الصحابة: "إن الأموال والرجال بالعراق"، (راجع الدينوري: الأخبار الطوال ص١٤٣).

وعليّ – رضي الله عنهم – فسلم عليهم، ثم توكأ على قوسه فقال: "إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان – إذ الناس يتغالبون – إلى رجال، فلم يكن منكم أحد إلا وفي فصيلته من يُرئِّسه، ويستبد عليه، ويقطع الأمر دونه، ولا يشهده ولا يؤامره، حتى بعث الله – عز وجل – نبيه ﷺ، وأكرم به من اتبعه، فكانوا يرئسون من جاء من بعده، وأمرهم شورى بينهم، يتفاضلون بالسابقة والقُدْمة والاجتهاد، فإن أخذوا بذلك وقاموا عليه كان الأمر أمرهم، والناس تبعًا لهم، وإن أصغوا إلى الدنيا وطلبوها بالتغالب سُلبوا ذلك، ورده الله إلى من كان يرئسهم، وإلا فليحذروا الغِيرَ، فإن الله على البدل قادر، وله المشيئة في ملكه وأمره، إني قد خلفت فيكم شيخًا فاستوصوا به خيرًا، وكانفوه تكونوا أسعد منه بذلك"، ثم ودعهم ومضى، فقال عليّ رضي الله عنه: ما كنت أرى أن في هذا خيرًا، فقال الزبير: لا والله ما كان قط أعظم في صدرك وصدورنا منه الغداة"[1].

ومعاوية هنا يشير إلى تلك العلاقة الجدلية بين العاملين الديني والقبلي اللذين تعاورا التأثير الظاهر على حركة التاريخ الإسلامي منذ البعثة النبوية المباركة، فهو يذكر زعماء الصحابة بأنهم كانوا قبل الإسلام أفرادًا عاديين يسودهم غيرهم من وجهاء قبائلهم ومجتمعهم، حين كان أمر السيادة والشرف يرجع إلى القوة والمغالبة، ثم أصبحوا سادة لما جاء الإسلام، وصار أمر التفاضل إلى السابقة في الدين، والبلاء والاجتهاد، فكان الوازع كما يقول ابن خلدون "دينيًا"، "فعند كل أحد داع من نفسه، فعهدوا إلى من يرتضيه الدين فقط، وآثروه على غيره"[2]..

وحذرهم معاوية من أن إعلاء شأن التغالب والعصبية مرة أخرى – كما يريد المتمردون ودعاة الفتنة والمستكثرون بعصبياتهم القبلية في الأمصار – سيؤدي إلى أن يعود هؤلاء الصحابة البارزون إلى المرتبة الأدنى، ويسودهم غيرهم من أقوامهم

---

[1] سيف بن عمر: السابق ٥٣، الطبري: السابق ٣٤٤/٤، المالقي: السابق ١٠٢/١

[2] المقدمة ٦١٣/٢-٦١٤

وغير أقوامهم من أولي العصبية والغلبة، ولا سبيل إلى إبقاء الميزان معتدلاً لصالح العامل الديني إلا بالإبقاء على نظام الخلافة القائمة على الشورى الكاملة، مما يعني المحافظة على الخليفة الثالث الذي اختاره المسلمون من غير مغالبة وقهر، ولذا لقد أوصاهم معاوية به خيرًا وقال: "وكانِفوه تكونوا أسعد منه بذلك"، إن مقتضى هذا المنطق الربط بين استمرار سيادة هؤلاء النفر من الصحابة والمحافظة على الخليفة والخلافة، واحترام الشورى التي دفعت بأمير المؤمنين إلى سدة الحكم.

ولا ريب أن حديث معاوية بهذه القوة مع كبار الصحابة بالمدينة المرشحين لخلافة عثمان – إن أصابه سوء – إنما جاء معبرًا عن حكمته وبروز شأنه، وهو أمر كان بعض هؤلاء الصحابة يدركه ويتقبله، وبعضهم ينكره ويستكثره، كما بدا في حوار عليّ والزبير، فقد قال عليّ: "ما كنت أرى أن في هذا خيرًا"، فقال الزبير: "لا والله، ما كان قط أعظم في صدرك وصدورنا منه الغداة".

إن إنكار عليّ لتدخل معاوية في أمر الخلافة وما يدور حولها من مؤامرات، ونصحه الشديد لهم قد تناوله المؤرخون في روايات متعددة، منها ما يقف موقف الاعتدال، كما مر بنا، ومنها ما يبالغ في أمر المخاشنة بين علي ومعاوية، حتى يصل حد الاختلاق والوضع. مثلما يرويه الطبري وغيره من أن معاوية قال لزعماء الصحابة: "أنتم أصحاب رسول الله ﷺ وخيرته في الأرض، وولاة هذه الأمة، لا يطمع في ذلك أحد غيركم، اخترتم صاحبكم – يعني عثمان – من غير غلبة ولا طمع، وقد كبرت سنّه، وولَّى عمره، ولو انتظرتم به الهرم كان قريبًا.. وقد فشت قالة خفتها عليكم، فما عتبتم فيه من شيء فهذه يدي لكم به، ولا تُطمعوا الناس في أمركم، فوالله لئن طمعوا في ذلك إن رأيتم إلا إدبارًا"، فقال عليّ: "وما لك وذلك؟ وما أدراك لا أم لك؟، قال: دع أُمي مكانها، فليست بشر أمهاتكم، قد أسلمت وبايعت النبي ﷺ [1]..

---

[1] الطبري: السابق ٤/٣٤٤–٣٤٥، ابن قتيبة "ينسب إليه": الإمامة والسياسة ١/٣٠

والرواية الأقسى من ذلك في تهجمها على معاوية يرويها صاحب الإمامة والسياسة فيزعم أنه كلم جمعًا من الصحابة فيهم علي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر فقال لهم: "يا معشر الصحابة أوصيكم بشيخي هذا خيرًا، فوالله لئن قتل بين أظهركم لأملأنها عليكم خيلاً ورجالاً، ثم أقبل على عمار بن ياسر فقال: "يا عمار إن بالشام مائة ألف فارس كلٌ يأخذ العطاء مع أمثالهم من أبنائهم وعبدانهم، لا يعرفون عليًا ولا قرابته، ولا عمارًا ولا سابقته، ولا الزبير ولا صحابته، ولا طلحة ولا هجرته، ولا يهابون ابن عوف ولا ماله، ولا يتقون سعدًا ولا دعوته، فإياك يا عمار أن تقف غدًا في فتنة تنجلي فيقال: هذا قاتل عثمان، وهذا قاتل عليّ"[1].

وهذه الرواية تحمل معاني الحزبية السياسية وخلفية الصراعات التي حدثت فيما بعد، فهي تصور معاوية مجترئًا على مقام هؤلاء الصحابة الأعلام، على خلاف الرواية السابقة للطبري التي ينعتهم فيها بالصحبة والخيرية والسيادة، وتزعم هذه الرواية أنه مضى يهددهم بخيله ورجاله إن قتل عثمان، ويخوّفهم كثرة أهل الشام وقسوتهم إذ إنهم لا يعرفون لهؤلاء الكبار أقدارهم، ولا يقيمون وزنًا لسابقتهم وفضلهم. بل إن هذه الرواية تقع في الكذب الصراح في حماستها لتصوير همجية أهل الشام وغطرستهم، حيث تذكر ضمن الصحابة الذين لن يخشاهم أهل الشام عبد الرحمن بن عوف، وقد مات عبد الرحمن سنة ٣٢هـ[2]، وكان ذلك اللقاء بين معاوية وزعماء الصحابة كما هو معروف عقب انتهاء موسم الحج الذي عقد فيه عثمان مجلس الشورى مع ولاته سنة ٣٤هـ؛ وفيها كان حديث معاوية – الذي تعددت بشأنه الروايات – مع زعماء الصحابة.

---

[1] الإمامة والسياسة ٢٨/١

[2] الطبري: السابق ٣٠٧/٤، ابن كثير: البداية والنهاية ١٦٣/٧-١٦٤

المبحث الثاني

دور معاوية في نصرة عثمان أثناء حصاره

مقدمة:

استطاع كبار الصحابة بالمدينة – علي وطلحة والزبير ومن معهم – أن يردوا جماعات الثوار الذين تجمعوا من البصرة والكوفة ومصر عند ضواحي المدينة في شوال سنة ٣٥هـ، يظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنهم إنما قدموا ليستعفوا من ولاتهم، فأظهروا الانصراف عن المدينة حتى اطمأن أهلها إلى زوال الخطر، ثم بغتوهم بالتكبير في طرقاتها، وأحاطوا بعثمان وحصروه، وزعم ثوار مصر أنهم لقوا في طريقهم غلامًا لعثمان معه كتاب إلى عامله على مصر يأمره بقتلهم، وصدقهم ثوار البصرة والكوفة، وقد جادلهم عليّ وقال: "كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر؛ وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة"، يعني أنهم اتفقوا عليه بها قبل تظاهرهم بالمسير عنها، فقالوا: "ضعوه حيث شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا"، وأحكموا سيطرتهم على المدينة، ومنعوا أهلها من الاجتماع[١]، وكانت مدة نزولهم المدينة سبعين ليلة، أما مدة حصارهم عثمان فكانت أربعين، وقد ظل يصلي بهم نحو عشرين يومًا من مدة الحصر، ثم إنهم منعوه ذلك، بل "منعوه كل شيء حتى الماء" لما سمعوا أخبار تحرك جيوش الأمصار لنجدته[٢]، وكانوا يريدونه أن يخلع نفسه من الخلافة، فأبى عليهم ذلك، فليسوا من أهل الحل والعقد الذين يملكون الخلع والتأمير، بل هم جماعات من رجال القبائل ومن أوى إليهم من الموالي والعبيد، ونُزَّاع الآفاق، ومثيري الفتن، وقد أيد عبد الله بن عمر رأي الخليفة أن لا يخلع نفسه، "فيكون ذلك سُنَّة كلما كره قوم خليفتهم خلعوه؛ حتى لا يقوم

---

[١] سيف بن عمر: السابق ٥٧-٦١، الطبري: السابق ٣٤٨/٤-٣٥١

[٢] سيف بن عمر: السابق ٦٥-٦٧، الطبري: السابق ٣٥١/٤-٣٥٤، ٣٨٤-٣٨٥

لله دين، ولا للمسلمين نظام"[1]، وكان ذلك تصديقًا لحديث النبي ﷺ: "يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يومًا فأرداك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمَّصك الله فلا تخلعه"[2]، فلما أبى أن يخلع نفسه قتلوه.

أولا: استنجاد عثمان بمعاوية وأمراء الأمصار:

تكاد تجتمع كلمة المؤرخين على أن عثمان أرسل في أثناء حصاره يستمد معاوية وغيره من أمراء الأمصار، ويستنجد بهم، ولكن تختلف رواياتهم حول تفصيلات ذلك الحدث، فهي تختلف حول نصوص الرسالة التي أرسلها عثمان إلى الأمصار، وهل هي رسالة واحدة أرسل نسخًا منها إلى البصرة والكوفة ومصر؟ أم هي رسائل شتى؟ وهل كتب إليهم مرة واحدة أم أكثر من مرة؟

فقد روى سيف بن عمر وغيره أنه كتب إلى الأمصار فذكر حال الأمة على عهد نبيها ﷺ وخليفتيه أبي بكر وعمر، وأوضح كيف آلت الأمور إليه حين استخلف بالشورى الكاملة من الأمة وقياداتها، "على غير طلب مني ولا محبة"، فعمل في رعيته بمقتضى الإسلام حتى استقوى أهل الضغائن والأهواء، "فطلبوا أمرًا، وأعلنوا غيره، بغير حجة ولا عذر"، ثم ذكر صبره عليهم "حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمه، وأرض الهجرة، وثابت إليهم الأعراب.. فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق"، فأتى الكتاب أهل الأمصار، فخرجوا على الصعبة والذلول، فبعث معاوية حبيب بن

---

[1] البلاذري: أنساب الأشراف ٧٦/٥، ابن العربي: العواصم من القواصم ١٣٧، المالقي: السابق ١٢٠/١

[2] رواه ابن ماجة في سننه ٤١/١، الطبراني: مسند الشاميين ٢٢٦/٢، أبو يعلى: المسند ٤٧٤/١٢، الحميدي: المسند ١٣٠/١

مسلمة الفهري، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج السكوني، وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو[1].

ويصيب الوهن هذه الرواية حين تزعم أن عبد الله بن سعد والي مصر آنذاك أرسل نجدة إلى الخليفة بقيادة معاوية بن حُديج، فإن المؤرخ المصري الكندي يذكر أن والي مصر آنذاك كان محمد بن أبي حذيفة، وقد تغلب على البلاد في غيبة أميرها عبد الله بن سعد[2]، ولا تفصح الرواية عن تاريخ ذلك الانقلاب، ولعله كان عند وجود ابن سعد بموسم الحج سنة ٣٤هـ ليحضر مجلس الشورى الذي عقده عثمان لولاة أمصاره الكبرى، فإن كان ابن أبي حذيفة الوالي على مصر فمستبعد أن يتمكن معاوية بن حديج من الخروج من مصر على رأس جيش لنجدة عثمان، وحسب رواية الكندي أنه اعتزل في جماعة من شيعة عثمان بمصر، واستطاعوا أن يهزموا جيوش واليها ابن أبي حذيفة عدة مرات[3]؛ ويبدو أن ذلك هو الأرجح، إذ إن الكندي مؤرخ مصري، وهو أعلم بأخبار بلده ورواته أوثق من سيف العراقي، ولو كان ابن سعد هو الوالي كما يزعم سيف لكان من العسير على جماعة الثوار أن يخرجوا من مصر لغزو الخليفة دون علم منه ومقاومة، أو دون أن يحذر الخليفة إن كان غُلب على أمره، ولم يقدر على منعهم..

هل استمدهم مرة واحدة أم أكثر؟

وثمة رواية أخرى أن عثمان عاد إلى مكاتبة أمرائه مرة أخرى، فوصف لهم تردّي الأحوال بالمدينة تحت سيطرة الثوار، وأنهم منعوه الصلاة بالمسجد، وطالبوه

---

[1] سيف بن عمر: السابق ٦١-٦٢، ابن الأثير: الكامل ٥٢/٣، الذهبي: تاريخ الإسلام ١٧٢/٢، المالقي: السابق ١١٢/١-١١٣، ابن الجوزي: المنتظم ٥٠/٥

[2] ولاة مصر ٣٨-٤٠

[3] السابق ٤٢

بالاعتزال، ثم قال: "فأدركوا الفتنة قبل تدفقها" فقام معاوية في أهل الشام يطالبهم بنصرة الخليفة، وفعل مثل ذلك واليا البصرة والكوفة، فتجهزت الجيوش لنجدة الخليفة بالمدينة[١].

وروى الواقدي من أن عثمان أمَّر عبد الله بن عباس على الحج حين منعه الحصار منه، وكتب معه كتابًا إلى أهل الموسم يسألهم النصرة [٢]، وأكد صاحب الإمامة والسياسة إرسال عثمان رسالة استمداد إلى من بمكة من أهل الموسم، وأضاف أنه كتب إلى أهل الشام عامة وإلى معاوية وأهل دمشق خاصة يستنجد بهم[٣]، بينما يروي ابن عساكر نص خطاب مفصل أرسله عثمان إلى أهل الشام يذكر فيه تطور الأحداث، وما دار من جدال بينه وبين الثائرين، وينتهي إلى طلب تدخل أهل الشام لينصروا الحق، ويردوا البغي[٤].

ومن الطبيعي والمتوقع أن تتواصل الرسائل بين عثمان وولاته تطلعهم على ما يجدّ من الأمور، وبخاصة إبان هذه المحنة [٥]، ولكن من المستبعد أن تتكرر رسائل الخليفة إلى ولاته بطلب النصرة وإرسال النجدات إليه، إذ من غير المتصور أن يبادر إلى طلب إرسال الجيوش إليه بمجرد نزول الثوار بالمدينة، وبخاصة أن عثمان كان يؤثر العافية، وقد رفض من قبل اقتراح معاوية بإرسال جند من الشام لحمايته، وأبى التضييق على أهل المدينة بجند يساكنهم، ولم يكن أحد يتوقع أن تمضي الأمور على النحو الذي مضت إليه، وكانت محاولات إقناع الثائرين بخطئهم قائمة، ويرجى

---

[١] المالقي: السابق ١١٧/١

[٢] الطبري: السابق ٣٨٧/٤

[٣] الإمامة والسياسة ٣٨/١-٣٩

[٤] تاريخ دمشق ٣٧٣/٣٩-٣٧٦

[٥] المالقي: السابق ١٠٧/١-١٠٩

نجاحها، فالأرجح أنه أرسل يطلب النجدات لما استبان له الخطر، وشدد الثائرون عليه الحصار، ومنعوا عنه الماء والطعام، ولم تطل مدة تضييق الحصار إلى الحد الذي يسمح بتكرار المراسلة من الخليفة، أو التباطؤ في النجدة من الأمراء.. ولكن بعض الرواة توهم تكرار الرسائل بتعدد صيغها الواردة.

ويلاحظ من هذه الرسائل أن عثمان لم يدع أمراء الأنصار وأجنادهم لمجرد إنقاذه وحمايته، بل لإقامة العدل، ومنع التعدي والجور، وهو يرى أن مقتضى العدل قمع هؤلاء الخارجين على الخلافة، وبخاصة بعدما جادلهم، وأقام الحجة عليهم، أو أعلن توبته مما ظنوه معصية منه ومخالفة، فما بقي عندهم مبرر للعدوان.

إن هذه النجدات تحركت بالفعل من الأمصار، متجهة إلى المدينة، لكن أخبار تحركها أثارت هلع المحاصرين، فقد أدركوا أنهم لا قبل لهم بها مع ما ستجده من عون أنصار الخليفة من أهل المدينة، فأشار زعماؤهم بتصعيد المواجهة مع الخليفة المحاصر، والتعجيل بالهجوم عليه وقتله، إذ إن ذلك سوف يخلق واقعًا جديدًا ينتج عنه غياب الخلافة الشرعية التي تتحرك هذه الجيوش بأمرها، والبحث عن خليفة جديد تختلف حول اختياره المشارب والأهواء، مما سوف يدخل قادة الرأي في الأمة مرحلة من الاختلاف يتفرق معه دم الخليفة المقتول، وقد ينجو قتلته، فاحتمالات نجاتهم إن قتلوا الخليفة أعظم من احتمالات نجاتهم إن هاجمتهم جيوش الأمصار الزاحفة نحوهم. وقد روى سيف بن عمر وغيره أنه قد وصلت أخبار تحرك الحجيج إلى المدينة لنجدة الخليفة، " فلما أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار أعلقهم الشيطان، وقالوا: لا يخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل، فيشتغل بذلك الناس عنا، ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلا قتله"[1].

---

[1] سيف بن عمر: السابق ٢٦٨، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧١/٣، الطبري: السابق ٣٨٧/٤، ابن الجوزي: المنتظم ٥٤/٥

ثانيًا: كيف يستمد عثمان معاوية في حين يرفض الدفاع عن نفسه؟:

إن ثمة تعارضًا ظاهريًا بين طلب عثمان النجدات من الأمصار وامتناعه عن الدفاع عن نفسه، ومنعه أنصاره من ذلك[1]، وبسبب ذلك التعارض نفى بعض المؤرخين أن يكون عثمان قد استنجد بأمراء الأمصار، من ذلك يرويه ابن الأثير من أن الثوار طالبوا الخليفة أن يخلع نفسه من الخلافة وقالوا له: "ولسنا منصرفين عنك حتى نخلعك أو نقتلك، أو تلحق أرواحنا بالله تعالى، وإن منعك أصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص إليك، فقال: أما أن أتبرأ من خلافة الله فالقتل أحب إليّ من ذلك، وأما قولكم: تقاتلون من منعني فإني لا آمر أحدًا بقتالكم، فمن قاتلكم فبغير أمري قاتل، وإن أردت قتالكم لكتبت إلى الأجناد فقدموا عليّ، أو لحقت ببعض أطرافي"[2].

---

[1] بينما تتكاثف الروايات الدالة على استنجاد عثمان بالأمصار – كما مر بنا – تروي روايات أخرى أن عثمان رفض رفضًا حاسمًا الدفاع عن نفسه، وأمر أصحابه ومواليه بألا يرفع أحدهم سيفًا ولا يريق دمًا من أجله.. من ذلك أن زيد بن ثابت الأنصاري جاءه وهو محصور فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: "إن شئت كنا أنصارًا لله مرتين"، فقال عثمان: أما القتال فلا، وجاءه أبو هريرة يوم الدار – اليوم الذي قتل فيه – ليدافع عنه فقال: يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعًا وإياي؟ قال: لا، قال: فإنك والله إن قتلت رجلا واحدًا فكأنما قتلت الناس جميعًا، فرجع ولم يقاتل، وذكروا أنه كان معه يومئذ في الدار سبعمائة مقاتل؛ لو يدعهم لضربوهم حتى يخرجوهم من أقطارها، منهم ابن عمر والحسن بن علي وابن الزبير، ورغم ذلك فقد حدث قتال بين بعض أصحابه ومواليه وخصومهم، ولكنه كان على غير إرادته، وذلك بعد اقتحام الثوار داره (ابن سعد: السابق ٣/٧٠-٧١، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ١/١٧٣-١٧٤، سيف بن عمر: السابق ٦٨، ابن عساكر: السابق ٣٩/٣٨٢-٣٩٠، الذهبي: تاريخ الإسلام ٢/١٧٣، ١٧٨-١٧٩، ابن العماد: شذرات الذهب ١/٤٠، ابن الأثير: الكامل ٣/٦٤-٦٥، المالقي: التمهيد والبيان ١/١١٨، ابن ظاهر المقدسي: البدء والتاريخ ٥/٢٠٦)

[2] الكامل ٣/٨٥

ويمكن الجمع بين هذه الروايات التي تؤكد أنه طلب النجدات من الأمصار وتلك التي تنفي دفاعه عن نفسه؛ وتثبت أنه طلب من أتباعه ألا يقاتلوا دونه، إذا تصورنا أن عثمان قرر الدفاع عن نفسه فنظم المدافعين عنه في داره، وطلب النجدات من الأمصار مؤملاً أن يردع ذلك الثائرين، وربما يدفعهم إلى الفرار خوفًا من إراقة الدماء المسلمة – وبخاصة أن بعضهم كان يرفع رايات الورع والديانة – أو الاستسلام لجيوش الخلافة، إذا تيقنوا أن مطلبهم الرئيس باعتزال الخليفة لن يتحقق.. لكن العكس من ذلك تمامًا هو الذي حدث، فقد جرّأ ذلك الثائرين عليه، ودفعهم إلى اقتحام داره وقتله، ولما أيقن الخليفة من مواصلة الثائرين الاعتداء عليه، وأنهم يستبقون وصول النجدات إليه، وأنه سيقتل لا محالة، وأن قوات المدافعين عنه بالمدينة لن تستطيع مقاومة أعداد الثائرين وأحقادهم؛ آثر أن يلقى مصيره راضيًا مطمئنًا، وألا يريق دماء المسلمين بسببه دون طائل.

ومما يرجح ذلك ما رواه ابن عساكر من أن عثمان استمد أهل الشام، فأرسل إليه معاوية جيشًا من أربعة آلاف، فلما تحرك الجيش وعلم الثائرون بخبره سارعوا إلى مهاجمة دار الخليفة لقتله، وأحرقوا بابه، وكان معه قريب من مائتي رجل قد هيأهم للقتال، وأمّر عليهم عبد الله بن الزبير، فلما رأى الحال قد آلت إلى ما آلت إليه، واستيأس من النجاة، خرج إليهم فقال: "جزاكم الله خيرًا، قد وفيتم بالبيعة، وقد بدا لي أن لا أقاتل، ولا يُراق فيّ محجمة دم، وفتح لهم سدّة في داره، فخرجوا منها"[1].

فمما يؤكد أن عثمان كان ينوي في البداية الدفاع عن نفسه، أو التظاهر بذلك – ليقلل من اجتراء الثائرين عليه، ويعطلهم حتى تقدم نجدات الأمصار – تنظيمه المدافعين عنه بالدار، وتأمير عبد الله بن الزبير عليهم، كما أنه واعد الزبير ابن العوام أن يأتيه مع بني عمرو بن عوف من الأنصار للدفاع عنه، لكن هجوم الثوار استبق

---

[1] تاريخ دمشق ٣٩/٤٠٢

ذلك الموعد بينهم واستبقوا قدوم النجدات إلى المدينة لما وصلتهم أخبار تحركها.. فاختار عثمان التضحية بنفسه بدل القتال العقيم[١].

ولعل ما ثبَّت عثمان على أمر التضحية بنفسه بدل أن يكون أول من سنَّ إراقة دماء المسلمين فيما بينهم، ما روي من طرق عديدة من أن رسول الله ﷺ كان قد بشره بالشهادة في سبيل الله على بلوى تصيبه[٢]، وقد رأى عثمان ليلة قتل رؤيا فيها رسول الله ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر، والنبي ﷺ يقول له: "إنك مقتول غدًا"[٣]، أو أنه قال له: "إنك تفطر عندنا الليلة"[٤].

ثالثًا: موقف معاوية من نجدة الخليفة:

رواية الكلبي:

ثمة روايات عدة ترى أن معاوية تربص بعثمان، وتباطأ عنه، لما أرسل يستمده ويطلب عونه، من ذلك ما رواه الطبري بسنده عن محمد بن السائب الكلبي- وهو راوية شيعي سبئي[٥] – من أن عثمان كتب إلى معاوية: "أما بعد، فإن أهل المدينة قد كفروا، وخلعوا الطاعة، ونكثوا البيعة، فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول"، فلما جاء معاوية الكتاب، وبصر به، كره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ، وقد علم اجتماعهم، فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كرز أحد قادات الشام، وإلى أهل الشام، يستنفرهم ويعظم حقه

---

[١]ابن عساكر: السابق ٣٧٣/٣٩

[٢]البخاري: الصحيح ١٣٤٣/٣ حديث ٣٤٧١، والأحاديث أرقام ٣٤٩٠- ٣٤٩٢- ٥٨٦٢- ٦٦٨٤- ٦٨٣٤، مسلم: الصحيح ١٨٦٨/٤، أحمد: المسند ٤٠٦/٤، الترمذى: السنن ٦٣١/٥، الطبراني: المعجم الأوسط ٢٠٥/٤، ابن الجوزي صفة الصفوة ٢٩٩/١

[٣]أحمد: فضائل الصحابة ٤٨٥/١، ابن الجوزي: السابق ٢٩٨/١-٣٠٠

[٤]أحمد: المسند ٧٢/١، فضائل الصحابة ٤٩٧/١-٥٠٠، ابن سعد: السابق ٧٤/٣

[٥]ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٨٠/٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦٢٥/١

عليهم، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عز وجل من طاعتهم ومناصحتهم، ووعدهم أن يتخذهم جندًا وبطانة من دون الناس، وذكرهم ببلائه عندهم، وصنيعه إليهم؛ وقال: "فإن كان عندكم غياث فالعجل العجل، فإن القوم معاجليّ" فلما قرئ الكتاب قام يزيد ابن أسد فيمن عنده، فذكر عثمان فعظّم حقه، وحضهم على نصره، وأمرهم بالمسير إليه، فتابعه أناس كثيرون، وساروا معه حتى إذا كانوا بوادي القرى – في الطريق إلى المدينة – بلغهم قتل عثمان رضي الله عنه فرجعوا.

وإذا كان ذلك موقف معاوية – كما تصوره الرواية – فإنها تذكر أن عثمان أرسل إلى أمير البصرة عبد الله بن عامر بمثل كتابه إلى أهل الشام، فانتدب الناس إليه، وخرجوا لإنجاده، لكنهم لم يدركوه[1]..

وهذه الرواية جديرة بالرد، إذ إن راويها مرميّ بالتشيع والكذب، وقد زعم أن عثمان ذكر في رسالته إلى معاوية كفر أهل المدينة ونكثهم البيعة، مما يوحي أن أهل المدينة كانوا على هوى الثائرين ضد الخليفة، وهو ما يتعارض مع محاولة كثير من الأنصار والمهاجرين نصرة الخليفة، وإلحاحهم في ذلك، مع ما تعرضوا له من إرهاب السبئية، لولا أن الخليفة رضي الله عنه أبى أن تراق دماء المسلمين فيما بينهم[2]، وقد كان بعض أهل المدينة لا يتصور أن تصل الأمور إلى حد الاعتداء على الخليفة وقتله، وأن الأمر لن يعدو أن يقتنع الثائرون بوجهة نظر الخليفة، أو يعتزل هو الخلافة نزولاً على رأيهم[3]، لكن هذه الرواية الموضوعة تزعم إجماع الصحابة على موافقة الثوار، وأن معاوية تقاعس عن نصرة الخليفة لأنه كره إظهار مخالفتهم، "وقد علم اجتماعهم".. وتزعم الرواية أن عثمان لما رأى تربص معاوية كتب إلى أحد قادة

---

[1] الطبري: السابق ٣٦٨/٤-٣٦٩، وانظر ابن الأثير: الكامل ٦١/٣

[2] راجع ابن عساكر: السابق ٣٨٢/٣٩، ٣٩٠-٣٩٣، ٣٩٩-٤٠٢، ٤٠٦

[3] راجع: الذهبي: تاريخ الإسلام ١٧٦/٢

الشام وهو يزيد بن أسد الذي استطاع حشد جيش لنصرة الخليفة، ولا توضح لنا موقف معاوية من ذلك الذي يحدث في ولايته، ولا تبريره تقاعسه أمام رعيته في تلك الحال، بل إنها تجعل تحرك يزيد بن أسد هذا ومن سار معه يعود إلى أسباب نفعية، بعدما وعدهم الخليفة أن "يتخذهم جندًا وبطانة من دون الناس، وذكرهم ببلائه عندهم، وصنيعه إليهم".

وأخيرًا تجعل هذه الرواية معاوية في موقف شديد السوء والخزي حين تربص بابن عمه وخليفته – الذي تزعم حركة الثأر له فيما بعد – بينما بادر أمير البصرة بإرسال الجنود على الفور لنجدة الخليفة المحاصر..

مهمة منسوبة إلى المسور بن مخرمة:

يروي ابن عساكر من عدة طرق – وكذا الذهبي – عن المسور بن مخرمة[1] أن عثمان بعثه إلى معاوية يعلمه أنه محصور، ويأمره أن يرسل إليه جيشًا سريعًا لنجدته، فلما أبلغ بذلك معاوية ركب نجائبه ومعه معاوية بن حديج ومسلم بن عقبة، وهما اثنان من أكابر أصحابه، فقطع الطريق إلى المدينة في عشرة أيام، فدخلها نصف الليل، فسأله عثمان عن الجيش الذي جاء به، فقال: لا والله ما جئتك إلا في ثلاثة رهط، فقال عثمان: لا وصل الله رحمك، ولا أعز نصرك، ولا جزاك عني خيرًا، فوالله ما أقتل إلا فيك، ولا يُنقم عليّ إلا من أجلك، فقال معاوية: بأبي أنت وأمي، إني لو بعثت إليك جيشًا فسمعوا به عاجلوك فقتلوك، قبل أن يبلغ الجيش إليك، ولكن معي

---

[1] هو المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري، وهو ابن أخت عبد الرحمن بن عوف، وكان مقربًا من عبد الله بن الزبير، ومشاركًا له في ثورته على الأمويين، وكان ابن الزبير لا يقطع أمرًا بدونه، وقد ولد بعد الهجرة بعامين، فهو من صغار الصحابة، وقتل في صفوف جيش ابن الزبير سنة ٦٤هـ(راجع في ترجمته: ابن قانع: معجم الصحابة ٣/١١٠-١١١، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٠-٣٩٤، وانظر الطبري: السابق ٥/٤٩٧)

نجائب لا تسايَر، ولم يشعر بي أحد، فاخرج معي، فوالله ما هي إلا ثلاث حتى نرى معالم الشام، فإنها أكثر الإسلام رجالاً، وأحسنه فيك رأيًا، فقال عثمان: بئس ما أشرت به"، وأبى أن يجيبه إلى ذلك، فرجع معاوية إلى الشام، ولقيه المسور بن مخرمة – رسول عثمان – وهو راجع في طريقه إلى المدينة، فقدم على عثمان "وهو ذامٌّ لمعاوية، غير عاذر له".

فلما كان حصره الآخر بعث عثمان المسور بن مخرمة مرة أخرى إلى معاوية يستنجد به، فكان مما قاله له: "يا مسور، تركتم عثمان حتى إذا كانت نفسه في حنجرته قلتم: اذهب فادفع عنه الموت، وليس ذلك بيدي"، ثم أنزله معاوية في مشربة له على رأسه، فما دخل عليه داخل حتى قتل عثمان، فقال معاوية يومًا للمسور: يا مسور، أنت ممن قتل عثمان، فقال المسور: أنا والله يا معاوية نصحته واعتزلته، وأنت والله غششته وخذلته، فإن شئت أخبرت القوم خبري وخبرك حين قدمت عليك بالشام، فقال معاوية: لا يا أبا عبد الرحمن[1].

إن طرق هذه الرواية جميعًا تعود إلى المسور بن مخرمة، وهو أحد قادة ثورة ابن الزبير ضد الأمويين، وربما استغل الوضاعون اسمه لذلك السبب فوضعوا على لسانه ما يسيء لزعيم بني أمية ومؤسس دولتهم، إضافة إلى ما تحمله هذه الروايات من أمارات التحزب والتحامل.

فهي ترى أن عثمان لما حوصر استنجد بمعاوية ليرسل إليه جيشًا يدفع عنه، فلم يعد معاوية ذلك الجيش، بل سار إليه مع اثنين من أصحابه ليعرض عليه الهروب إلى الشام، مما أثار حنق الخليفة عليه فكال إليه السباب، واتهمه أنه سبب نكبته وغضب رعيته منه، وقال: "والله ما أقتل إلا فيك، ولا يُنقم عليّ إلا من أجلك"، ولسنا نتصور كيف يمكن لمعاوية ومن معه الوصول إلى الخليفة رغم الحصار، ثم كيف

---

[1] ابن عساكر: السابق ٣٩/٣٧٦-٣٧٧، الذهبي: تاريخ الإسلام ٢/١٧٧

يمكنهم "تهريب الخليفة المحصور" من قبل آلاف الثوار وهم ثلاثة نفر، ومع هذا الاختلال في البناء العقلي للرواية فإنها تهدف إلى إعطاء المشروعية للثورة على عثمان حين تزعم أن عثمان اتهم عامله على الشام بأنه سبب نكبته وبلواه، وتلك كانت ادعاءات الثوار الذين يتهمون عثمان بمحاباة أقاربه الذين تبغضهم رعيتهم، ومعاوية على رأسهم، رغم ما هو معروف عن رضا رعية معاوية عنه التي وصلت حد حربهم معه – فيما بعد – من أجل القصاص لعثمان، وصمودهم أمام جيوش عليّ بن أبي طالب حتى آلت الخلافة إلى معاوية[١].

وفي غمرة التلفيق في عناصر هذه الرواية ينسى واضعها أن معاوية بن حديج الذي يزعم أنه – مع مسلم بن عقبة – صحبا معاوية في سفره السريع "لتهريب الخليفة" كان يسكن آنذاك مصر، منذ كان أحد فاتحيها [٢]، وقد ضم إليه جماعات كثيفة – بعد مقتل عثمان– تصدت لوالي مصر المتغلب عليها، محمد بن أبي حذيفة، الذي كان أحد الثائرين على عثمان، وأوقعت بجيشه الهزيمة عدة مرات[٣]..

وتفترض الرواية أن حصرًا ثانيًا تعرض له الخليفة، ولعلها تقصد تشديد الحصار عليه الذي تم بعد نحو عشرين يومًا من بدء حصره، وأن عثمان أرسل المسور بن مخرمة نفسه مرة ثانية ليستمد معاوية، ثم تنسب إلى معاوية قوله: "إن عثمان أحسن فأحسن الله إليه، ثم غيّر فغيّر الله به" وهو ترديد لذات الاتهامات التي يسوقها الثائرون ضد عثمان، لكنها هذه المرة توضع على لسان معاوية، أشد أنصاره،

---

[١]كانت نساء النبي ﷺ وبعض الصحابة القريبين من علي رضي الله عنه ينصحونه، لما تولى الخلافة، بالإبقاء على معاوية وألا يعزله لرضا رعيته به (راجع الطبري: السابق ٤/٤١٠، ٤٣٨–٤٣٩، الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال ٢٦٢، ابن كثير: السابق ٨/٧)

[٢]راجع ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ١٨٥

[٣]الكندي السابق ٤٢

ثم تضيف الرواية اتهامات أخرى لأهل المدينة بخذلان الخليفة، وأنهم تركوا عثمان حتى إذا كانت نفسه في حنجرته استنجدوا بمعاوية، وهو ما يخالف الروايات المتكاثرة التي تذكر تعاطفهم مع عثمان، وأنهم عانوا قهر الثائرين لهم، ورغم ذلك عرضت جماعات منهم الدفاع عن الخليفة إلا أنه رفض ذلك.

كما أن الرواية تزعم أن معاوية فرض "الإقامة الجبرية" على المسور، لمنع اختلاطه بأهل الشام، وخشية أن يعرفهم بتقاعس أميرهم عن نصرة الخليفة، لكن معاوية عاد بعد قتل عثمان ليحاول أن يلصق تهمة المشاركة في قتله بالمسور، ولا تذكر الرواية سببًا لذلك، مما حدا به إلى تهديده بإفشاء سرهما فسكت عنه!

إن عناصر التلفيق والكذب واضحة في هذه الرواية، وهي – إضافة إلى ما سبق – تعارض رواية أخرى عن المسور بن مخرمة نفسه يبدي فيها إعجابه بسياسة معاوية وحنكته، وتذكر أنه اهتم غاية الاهتمام بمحنة الخليفة، وإن لم تمض هذه الرواية إلى النهاية فتحدد موقفه من إرسال نجدة للخليفة، وفيها يصف المسور معاوية بقوله: "قد كنت له مستصغرًا قبل ذلك، فلما رأيت منه ما رأيت، وسمعت منه ما سمعت، علمت أنه رجل الناس، وعظم والله في صدري، وتذكرت رأي الولاة فيه، وأيقنت أن الله – عز وجل – لم يوقع ذلك له إلا وقد قضى له بشيء"[1].

رواية اليعقوبي:

ويروي اليعقوبي ما يساير ذات الاتجاه الذي يتهم معاوية، ومعروف أن اليعقوبي متشيع [2]، ويقول في روايته: إن أكثر من كان يؤلب على عثمان طلحة والزبير وعائشة، فكتب عثمان إلى معاوية يستنجد به ضد محاصريه، فتوجه إليه في اثني عشر ألفًا، ثم قال لهم: كونوا مكانكم في أوائل الشام، حتى آتي أمير المؤمنين

---

[1] المالقي: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ١/١٩٩-٢٠٠

[2] راجع اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٤-١٢٦

لأعرف صحة أمره، فأتى عثمان فسأله عن المدد، فقال: قد قدمت لأعرف رأيك، وأعود إليهم، فأجيئك بهم، قال: "لا والله، ولكنك أردت أن أقتل فتقول: أنا ولي الثأر، ارجع فجئني بالناس"، فرجع، فلم يعد إليه حتى قتل[1].

وهذه الرواية تزعم تآمر كبار الصحابة على عثمان، وهو زعم مردود بأدلة متكاثرة، ولو كان طلحة والزبير وعائشة ممن تآمر على عثمان ثم ثاروا طلبًا بدمه في موقعة الجمل سنة ٣٦هـ لما استمع إليهم أحد، ولا تابعهم، ولا حارب معهم، ومحاولات تشويه مواقف كبار الصحابة في هذه الفترة دءوبة ومتهافتة وترد عليها شهادات كبار الصحابة أنفسهم ومواقفهم تجاه عثمان والثائرين عليه[2].

والرواية تزعم أن معاوية أعد بالفعل اثني عشر ألفًا، لكن لم يسر بهم لنجدة الخليفة، بل تركهم في الطريق، وسار بنفسه ليتأكد من صدق حاجة عثمان إليه، وهل يمكن حمل استنجاد الخليفة – وهو محصور مهدد بالعزل أو القتل – بعامله على غير الشعور بالخطر الجسيم والحاجة الماسة إلى العون، وهل يحشد معاوية اثني عشر ألف رجل؛ يسير بهم إلى أوائل الشام لمجرد أخبار لم تتحقق عنده؟ وهل يمكن تصور أن يكون أحد أكبر أمراء الدولة الإسلامية في هذا الوقت غافلاً عما يجري في عاصمة الخلافة، وهو يتوجس – كما مر بنا – أن يصيبها السوء..

ثم تضع الرواية على لسان عثمان حجج خصوم معاوية فيما بعد، أنه تربص بالخليفة ليقتل، فيطلب ثأره، ولا تذكر الرواية شيئًا عن سلوك ذلك الجيش الذي تلعَّب به معاوية، فحشده لنصرة الخليفة، ثم صرفه، ثم عاد ليحشده للثأر له بعد قتله.. وكيف أطاعه في كل ذلك بغير إنكار ولا فتور؟.

---

[1] تاريخ اليعقوبي ١٧٥/٢

[2] راجع عن مواقف علي وطلحة والزبير وعائشة وعمرو بن العاص في هذه الفترة: حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ٢٩٠-٢٩٢

وهكذا يبدو لنا أن تلك الروايات التي تتهم معاوية بالتربص بعثمان حتى يقتل، لينادي بالثأر له فيما بعد هي روايات مطعون في إسنادها، حيث تروى عن رواة ومؤرخين من الشيعة كمحمد بن السائب الكلبي واليعقوبي، أو من الزبيريين كالمسور بن مخرمة، الذي تروى عنه الرواية وما يضادها في الوقت نفسه، وقد يكون المؤرخون المتأخرون زجوا باسمه لتروي عنه هذه الأكاذيب، أما من حيث متن هذه الروايات وبنائها الداخلي فيبدو تحاملها على معاوية، وتناقض عناصرها، ومخالفتها لما هو أوثق منها وأجدر بالقبول.

روايات أحرى بالصدق:

روى ابن عساكر والمالقي رواية مفصلة عن سيف بن عمر تحكي تحرك معاوية لنجدة الخليفة لما علم بخبر حصره، فأرسل إلى حبيب بن مسلمة أحد أبرز قادة المسلمين بالشام فقال: "إن عثمان قد حصر، فأشر عليّ برجل ينفذ لأمري، ولا يقصر، قال: ما أعرف ذلك غيري، فقال: أنت لها، فأشر عليّ برجل أبعثه على مقدمتك، لا يتهم برأيه ولا نصيحته، وعجِّله في سرعان الناس"، وقد استقر رأيهما بعد مشاورة على اختيار يزيد بن شجعة الحميري، وبينما هم في ذلك قدم عليهم الكتاب بالحصر، فدعا معاوية قائديه، ورسم لهما خطة التحرك فقال: "النجاء، سيرا فأغيثا أمير المؤمنين، وتعجل أنت يا يزيد، فإن قدمت يا حبيب وعثمان حيّ فهو الخليفة، والأمر أمره، فانفذ لما يأمرك به، وإن وجدته قد قتل فلا تدعنّ أحدًا أشار إليه، ولا أعان عليه إلا قتلته، وإن أتاك شيء قبل أن تصل إليه فأقم حتى أرى من رأيي".

فسار يزيد بن شجعة على مقدمة الجيش في ألف فارس على البغال، يقودون الخيل، معهم الإبل عليها الروايا [1]، واتبعهم حبيب بن مسلمة وهو على بقية الجيش،

---

[1] المراد بالروايا: مزادات الماء (راجع ابن منظور: لسان العرب ٣٤٧/١٤)

فانتهى يزيد في سيره الحثيث إلى ما بين خيبر والسقيا [1]، فلقيه الخبر، ثم لقيه النعمان بن بشير معه القميص الذي قتل فيه عثمان، مخضّب بالدماء، وأصابع نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان التي قطعت وهي تحاول الدفاع عن زوجها الشهيد، فرجع يزيد إلى حبيب ومعه النعمان، فأمضى حبيب النعمان إلى معاوية وأقام، فأتاه رأيه بالرجوع إلى دمشق.

وتمضي الرواية فتقدم مزيدًا من التفاصيل عن كيفية تجهيز معاوية أهل الشام نفسيًا لحمل راية القصاص لعثمان، فقد وضع معاوية قميص عثمان وأصابع نائلة على المنبر، وكتب بالخبر إلى الأجناد، وثاب إليه الناس، فبكوا سنة، وآلى رجال من أهل الشام ألا يأتوا نساءهم، ولا يمسهم الغسل إلا من احتلام، ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن يدافع عنهم، أو تفنى أرواحهم[2].

وهذه الرواية تبدو أولى الروايات في ذلك الباب بالقبول لما تحمله من عناصر صدق تخلو من التناقض والغلو، وتمتاز بالمعقولية في تسلسل الأحداث وتطورها، مع ما بها من تفصيلات دقيقة توضح الجوانب المختلفة للواقعة.

فهي تشير إلى أنه قد "أتى معاوية الخبر" بحصر الخليفة، فبادر بالحركة وإعداد الجيش قبل أن يقدم عليه الكتاب بالحصر، وذلك الكتاب هو – غالبًا – ما أشارت روايات أخرى إلى أن عثمان كتبه إلى معاوية وأهل الشام يخبرهم بما أحاط به من خطر، ويطلب منهم نجدته، ومعنى ذلك أن مبادرة معاوية بالتحرك لنجدة الخليفة

---

[1] يطلق اسم السقيا على عدة أماكن في المدينة أو بينها وبين مكة (الفاكهي: أخبار مكة ١١٦/٤، ١٧٣، البكري: معجم ما استعجم ٧٤٢/٣، ٩٥٤) والسياق يستبعد ذلك، وقد ذكر ياقوت(معجم البلدان ٢٢٨/٣) أن سقيا الجزل موضع ببلاد عذرة قريب من وادي القرى، وهو الأقرب للتصور إذ أقبل الجيش من ناحية الشمال التي تقع فيها خيبر ووادي القرى

[2] تاريخ دمشق ٣٧٨/٣٩-٣٧٩، المالقي: السابق ٢٠٠/١-٢٠١

كانت أسرع من كتابته إليه، وطلبه ذلك منه، وليس غريبًا أن تصل الأخبار إلى معاوية بحصر عثمان قبل أن يكتب الخليفة إليه، بل هو ما يتناسب مع المعروف من يقظة معاوية وتخوفه على الخليفة في هذه الظروف العصيبة، بل تأكده من أن أعداء الخليفة سوف يغزونه، وقد مر بنا قوله لعثمان وهما بالمدينة، لما رفض المسير معه إلى الشام أو توجيه قوة من الشام لحمايته بالمدينة: "والله لتغزين، ولتغتالن"، ولعل هذه الأخبار ببدء حصار الخليفة قد جاءت إلى معاوية من قبل بعض بني أمية بالمدينة، أو أنصار الخليفة هناك، وهم فيما يبدو قد سارعوا بإعلام معاوية بحصار الخليفة بمجرد بدء الحصار الذي استمر أربعين يومًا، لكنه لم يشتد ويشكل حصرًا كاملاً لعثمان إلا بعد مضي نحو نصف هذه المدة.. والمرجح أن عثمان لم يكتب إلى معاوية مستنجدًا إلا بعد اشتداد الخطر عليه، وفشل جميع جهوده في إثناء الثائرين عن خططهم.

لقد أدى وصول رسالة الخليفة إلى معاوية يطلب العون إلى تعجيل حركته لا إلى بدئها، فأمد قائديه بخطط التحرك على نحو مفصل وكامل، يعالج كافة الاحتمالات الممكنة، مثل الوصول إلى المدينة قبل قتل الخليفة، أو بعده، أو وصول خبر قتله إلى الجيش وهو في الطريق إليه، ثم تذكر تفاصيل ما تم بعد ذلك لما وصلت الأخبار بقتله إلى جيش معاوية، وكيف هيأ معاوية الأجواء بالشام لتبني قضية المطالبة بالقصاص للخليفة الشهيد.

وتتفق رواية ابن عبد ربه عن الشعبي مع رواية ابن عساكر السابقة عن سيف، لكنهما تختلفان في اسم قائد مقدمة حبيب بن مسلمة، فيذكر ابن عبد ربه أنه يزيد بن أسد[1]، وقد مر بنا في رواية ابن عساكر أنه يزيد بن شجعة الحميري، وقال

---

[1] العقد الفريد ٢٩٨/٤

في أخرى إنه أسد بن كرز، وهو والد يزيد بن أسد، [١]، وما ذكره ابن عبد ربه هو الأرجح، إذ يوافقه ابن عساكر في موضع آخر، فيقول في ترجمة يزيد بن أسد:"وكان مقدمة الجيش الذي أمد به معاوية عثمان مع حبيب ابن مسلمة" [٢]، وقد كان يزيد بن أسد من قادة الشام المعدودين، وتذكر مصادر ترجمته ذلك الموقف له[٣]، كما مر بنا ما زعمته رواية الكلبي من أن عثمان أرسل إليه يستمده لما تقاعس عنه معاوية، وهي الرواية الموضوعة التي سبق الرد عليها، ويبدو أن القول بأن القائد كان أسد بن كرز تصحيف من الرواية السابقة، وأن اسم يزيد سقط منها وبقي اسم أبيه، أما يزيد بن شجعة فلم أعثر على ذكر له إلا في هذا الموضع، ولم يذكر ابن عساكر في ترجمته المقتضبة له شيئًا سوى هذه الرواية [٤].

---

[١] تاريخ دمشق ٤٠٣/٣٩

[٢] السابق ١٠٠/٦٥

[٣] تختلف مصادرنا حول يزيد بن أسد هل يعد صحابيًا أم لا، والأرجح أن له صحبة، وروى حديثًا واحدًا عن النبي ﷺ، وهو جد خالد بن عبد الله القسري الوالي الأموي المشهور الذي تولى حكم العراق زمن هشام بن عبد الملك فيما بعد، وكان يزيد من سادات أهل اليمن، مطاعًا فيهم، شارك في بعوث المسلمين إلى الشام زمن عمر بن الخطاب، واستقر بها، وكان مع معاوية في صفين (راجع ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤٢٨/٧، ابن عبد البر: الاستيعاب ١٥٧٠/٤، ابن الأثير: أسد الغابة ٦٧٢/٤-٦٧٣، ابن حجر: الإصابة ٦٤٧/٦، تعجيل المنفعة ص ٤٤٨، ابن العديم: بغية الطلب ٣٠٦٨/٧، البخاري: التاريخ الكبير ٣١٧/٨، ابن حبان: الثقات ٤٤٣/٣)

[٤] تاريخ دمشق ٢٣٣/٦٥-٢٣٤

الخاتمة:

تباينت آراء المؤرخين إزاء موقف معاوية من نصرة أمير المؤمنين عثمان إبان الفتنة، واتهمه بعضهم بالتربص به وعدم نجدته وإعانته حتى قتل، وذلك كي يتسنى له المطالبة بالقصاص له، وأن يتخذ ذلك ذريعة للتمنع من مبايعة علي واتهامه بالمشاركة في قتله، ثم محاربته في صفين، واستمراره على ذلك حتى استطاع الظفر بالخلافة آخر الأمر سنة ٤١هـ.

لكننا عند الدراسة المتأنية للروايات التي تتهم معاوية بذلك نجد تهافت هذه الاتهامات فقد سيّر عثمان إليه زعماء التمرد في الكوفة لما سعوا فيها فسادًا، فاجتهد معاوية في إصلاحهم حتى أبدوا التوبة عما كانوا فيه من السعي إلى الفتنة، وكذا أرسل إليه عثمان عامر بن عبد القيس لما اتهمه بعض أهل البصرة بفساد الدين، فرأى معاوية – بعد تمحيص المسألة – أنه مكذوب عليه، فأحسن إليه وأكرم نزله..

وحضر معاوية مجلس الشورى الذي عقده عثمان لأبرز ولاته في موسم الحج سنة ٣٤هـ، لدراسة أمر الفتنة التي أطلت برأسها في الكوفة والبصرة، وكان لمعاوية رأيه الذي يرتكز على أن أميري البلدين أدرى الناس بهما، وأقدرهم على مواجهة الخطر فيها، فلما انقضى مجلس الشورى عاد مع عثمان إلى المدينة، وقد أحس بالخطر يقترب منه، فعرض عليه أن يسير معه إلى الشام لحمايته، أو أن يرسل إليه جندًا منها للدفاع عنه وعن المدينة إن هددها سوء، لكن عثمان أبى أن يترك جوار رسول الله ﷺ، أو أن يقتّر على أهل المدينة أرزاقهم بجند يساكنهم فيها، ونصح معاوية في زيارته تلك زعماء الصحابة بالمدينة بمساعدة عثمان ونصحه والدفع عنه، مما ترك عندهم أثرًا متباينًا، فاستنكر بعضهم تدخله الجريء في ذلك الأمر، وأكبره آخرون، ورأوا فيه دلالة قوة معاوية وعلو شأنه.

أما استنجاد عثمان بمعاوية وغيره من أمراء الأمصار الكبرى أثناء حصره فإن الروايات الواردة بشأنه تبدو متعارضة مع روايات أخرى كثيرة تؤكد أن عثمان رفض الدفاع عن نفسه، ونهى المدافعين عنه عن القتال.

والذي تستريح إليه النفس أن عثمان استنجد بأمرائه الكبار في البصرة والكوفة والشام، وأنه نظم القوات المحدودة التي اطمأن إليها بالمدينة لنصرته، وأنه لجأ إلى ذلك ليرهب الثوار ويدفعهم إلى التراجع عن بغيهم، لكنهم لما علموا بتحرك نجدات الأمصار إليه سارعوا إلى الاعتداء عليه، وهنا أمر الخليفة المدافعين عنه بالمدينة بالانصراف، وألا يقاتلوا دونه قتالاً لا نتيجة له إلا إراقة الدماء..

لقد حاول الرواة المتحاملون على معاوية اتهامه بالتربص بعثمان، وأنه لم يحرك قواته لنجدته حين استنجد به، لكنها روايات لا سبيل إلى الوثوق بها لتحزب رواتها، فبعضهم شيعي وبعضهم زبيري، تروي عنه الرواية ونقيضها، كما أن البناء الداخلي لهذه الروايات يبدو متهاويًا، وتبرز رواية ابن عساكر عن سيف بن عمر كأكثر هذه الروايات إقناعًا، في تفصيلاتها وتناسق بنائها.. وتنص على أن معاوية بادر بنجدة الخليفة، وأعد لذلك جيشًا، وصلت مقدمته بالفعل إلى قريب من المدينة، لكن لقيها في طريقها خبر استشهاد الخليفة.. ومن هنا أخذ معاوية يعد العدة في تؤدة وإصرار للمطالبة بالقصاص لابن عمه وخليفته الشهيد.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

ابن الأثير: محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ):

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ) :

- التاريخ الكبير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

. صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط٣ ، سنة ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .

البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ):

- معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، سنة ١٤٠٣هـ

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ):

- أنساب الأشراف، ج٥، طبعة القدس، سنة ١٩٣٦م.
- فتوح البلدان، نشرة دي غويه، بريل، ليون، سنة ١٨٦٦م.

الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (ت ٢٧٩هـ):

. سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د . ت)

ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٧٩هـ):

- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، مكتبة الآداب سنة ١٩٧٥م.

– صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، محمد رواس قلعة جي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٣هـ.

– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٢م.

ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ):

. الثقات، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ط١، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م

ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):

. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، سنة ١٤١٧هـ

– تعجيل المنفعة، تحقيق د. إكرام الله إمداد الحق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (د.ت)

. تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

الحميدي: أبو بكر عبد الله بن الزبير(ت ٢١٩هـ):

– مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة، (د.ت)

ابن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ):

– فضائل الصحابة، تحقيق د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

. المسند، مؤسسة قرطبة ، مصر، (د.ت).

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ):

– المقدمة، تحقيق د.علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط٣، ١٤٠١هـ

ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ):

. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م

ابن خياط: خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ):

– تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، دار الرسالة، دمشق، بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٧هـ.

الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ):

– الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، ومراجعة د. جمال الدين الشيال، مكتبة الحلبي، ط١، سنة ١٩٦٠م.

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ):

– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الغد العربي، القاهرة، ط١، سنة ١٩٩٦م

. سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، سنة ١٤١٣هـ

– المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، وهو اختصار لكتاب منهاج السنن النبوية لابن تيمية، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة سنة ١٣٧٤هـ.

الزبيري: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت (ت ٢٣٦هـ):

– نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، سنة ١٩٥٣م.

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ):

– الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (د.ت).

سيف بن عمر: سيف بن عمر الضبي الأسدي (ت ٢٠٠هـ):

– الفتنة ووقعة الجمل، جمع وتصنيف أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط٦، سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ):

– تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م.

الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ):

. مسند الشاميين، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط١، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م

. المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين ، القاهرة، سنة ١٤١٥هـ

الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ):

– تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٤ سنة ١٩٧٩م.

ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر(ت ٤٦٣هـ):

. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، نحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ط١، سنة ١٤١٧هـ

ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي (ت ٢٥٧هـ):

– فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد الحجيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ط١، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م

ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ):

– العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م.

ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ):

– بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق د. سهيل زكار، دمشق، سنة ١٩٨٨م.

ابن العربي: القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري (ت ٥٤٣هـ):

– العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الكتب السلفية، القاهرة، ط١ سنة ١٤٠٥هـ.

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ):

–تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبو سعيد عمر العمروي، دار الفكر، سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

ابن العماد: عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ):

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

الفاكهي: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس (ن ٢٧٥هـ):

– أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، ط٢، سنة ١٤١٤هـ

ابن قانع: أبو الحسين عبد الباقي بن قانع (ت ٣٥١هـ):

– معجم الصحابة، تحقيق صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، سنة ١٤١٨هـ

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ):

–(ينسب إليه): الإمامة والسياسة، مكتبة الحلبي، القاهرة، الطبعة الأخيرة، سنة ١٣٨٨هـ.

ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ):

– البداية والنهاية، مطبعة السعادة بمصر، (د.ت).

الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ):

– تاريخ ولاة مصر وقضاتها، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ):

– سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د . ت)

المالقي: محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي (ت ٧٤١هـ):

– التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق د. محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، قطر ط١، ١٤٠٥هـ.

مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ):

. صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)

المقدسي: مطهر بن طاهر(ت ٥٠٧هـ):

– البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)

ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ):

. لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، (د.ت)

أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ):

– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ

ياقوت الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ):

– معجم البلدان، طبعة دار الفكر، بيروت، (د.ت).

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ):

–تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٠م.

أبو يعلى: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت ٣٠٧هـ):

. مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٩٨٤م

ثانيًا: المراجع

أحمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، مكتبة نهضة مصر، ط١، سنة ١٩٦٠م.

حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، مكتبة النصر، سنة ٢٠٠٠م.

دوزي . ر : تاريخ مسلمي إسبانيا، ج١، ترجمة د. حسن حبشي، دار المعارف، ١٩٦٢م

راضي آل ياسين: صلح الحسن عليه السلام في بيروت، ط٤، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

طه حسين: الفتنة الكبرى، دار المعارف، مصر، سنة ١٩٥٣م.

عباس محمود العقاد: عبقرية علي، دار نهضة مصر، (د.ت).

علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، مصر ط٨، ١٩٨١م.

عمر أبو النصر: الحسين بن علي، المكتبة الأهلية، بيروت، سنة ١٣٥٣هـ.

فلهوزن (يوليوس): تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٥٨م.

محمد عبد الله عنان: تاريخ الجمعيات السرية الهدامة في المشرق، دار أم البنين للنشر والتوزيع، (د.ت).

محمد كرد علي: خطط الشام، طبعة دمشق، سنة ١٩٣٨م.